هو الذي قال كلمة حق في عالم باطل، والحق ميزان عدلٍ في عالم قائم على العدل. إذن عليه أن يرحل هو وميزانه خوفاً على ناموس العالم القائم على الظلم، خوفاً على شريعة العالم القائمة على قانون الغاب.

كلمة أقولها من الأعماق: كمال جنبلاط رسالة حياة تحققت بكل آفاقها ، وبكل أبعادها ، وبكل معانيها. سوف يبقى كلمة مشرقة حتى الأبدية.

## الجزء السادس من موسوعة كمال جنبلاط

## كمال جنبلاط التربوي

### التربية الحديثة

ويعود الكاتب إلى القديم، من أجل أن يكون القديم مرآة وعبرة يرى من خلالها العالم الحديث ما يجب ، ومنه يعتبر.

( إن التربية هي إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال )

ص 18 عن أفلاطون

نرى أن التربية وعلى المدى البعيد تصنع الإنسان صورة ناصعة عن المربي، إذا ما علمنا أن التربية تتناول جميع جوانب الحياة ؛ وأهمها الجانب الجوهري مع العلم أن الجوهر لا يحتاج إلى تربية، إذا ما كانت الحاجة إلى علمه ومعرفته و وعيه.

فالجمال في ذاته، إنما هو جمال الروح، إذا ما كانت هي جمال الوجود ، وجمال الواجد ، وجمال الموجود ، والواجب وعيها ، وليس تحميلها شقاء هذا الفكر.

إن من الواجب وعي الوجود ، لنعلم أين نحن من هذا الوجود ، وما يجب فعله ، وما هي نتائج ما نفعل.

فقد توجه أفلاطون إلى الجمال والكمال، وهما معاً صفات الجوهر، فالجميل هو التوجه إلى كينونة الحياة والوجود والإنسان ، من أجل أن نعلم جوهر وجودنا ومعنى هذا الوجود وغايته، فحين نعلم ونعي ، فقد نعقل كل شيء، ومن خلال عقلنا لوجود نحن جوهره، نفعل فعلاً عقلياً غائياً يحقق غاية رحلتنا



obeikandl.com

المباركة تلك التي بدأت من العلة واتجهت نحو الغاية ، تلك الرحلة التي حوّلها الفكر إلى حرب وذل وشقاء بعد أن تأبد الإنسان في تلك الوسيلة المذلة في خنادق الحرب.

فقد سألت بوذا وهو في أعالي الجبال : لماذا خُلق الرجل؟

قال مجيباً: خُلق الرجل للقتال.

وبعد تلك القرون العديدة وقفتُ أمام هتلر في معتقلات " بوخن فالد" وسألته ذات السؤال ، فقال: هتلر يريد الحرب ، فمن يريد الحرب يريد هتلر، ومن لا يريد الحرب، سوف يُقتل.

هتلر مؤسس الفكر النازي، لكن هتلر الرجل كان استجابة لتطلعات الفكر الذي هو الحرب في ذاتها .

السومريون صنعوا تاريخهم كرسالة سلام، لكن الغزاة من حولهم ، لم يقرؤوا رسالة سلام ، ولم يكتبوا رسالة سلام . إذن، كان على السومريين أن ينتفضوا لحرب الغزاة، فشريعة غاب الفكر،لا تقبل سلاماً على أرض يغتصبها.

وكان على أرسطو القول : " إن واجب التربية وعي العقل وعقله ". وليس قوله : " الغرض من التربية هو إعداد العقل لكسب العلم" ص 18

فالعقل هو قلم الوجود ؛ هو العلم في ذاته ، وعلينا أن نتذكره فقط حتى نعيه ونعقله ونعمل بواجب الحياة من أجل أن نحقق غايتنا التي ننشدها بإرادة العقل الجوهرية،وليس بدجل الفكر الجهنمي. ولا من غرض للحياة، بل هي غاية نبيلة وسامية لأنها تحقق أبدية الحياة وأبديتنا.

ولسنا مع جون سيمون في قوله : " إن التربية، هي الطريقة التي يكون بها العقل ، عقلاً آخر ". ص 18

ولن نقبل بذاك العقل الذي اخترعه ديكارت، إذا ما كان العقل مبدع الوجود وسابقه، وسابق ديكارت .

لو كان سيمون يعرف العقل لما قال عن طريقة يكون بها العقل عقلاً آخر. وكأنه فكر يتلون حسب بيكون وديكارت وسيمون وغيرهم.

إن العقل ثبات مطلق، وهذا الثبات المطلق يجعل الحركة حركة سرمدية، إذا ما كان المحرك هو العقل حيث تصبح الحركة إرادية ثابتة ومستديمة.

ولسنا مع جون ملتون في قوله : " إن التربية الكاملة، هي التي تجعل الإنسان صالحاً لأداء أي عمل، عاماً كان أو خاصاً، بدقة ومهارة، في السلم والحرب" 18

فما هي التربية الكاملة؟ وهل من تربية كاملة تبرر الحرب؟ إن التربية الكاملة هي التي تبدأ من الكينونة وليس من الكيان. إن معرفة الكينونة هي معرفة الواجب وهنا يتغير الكل " العلم والمعلم والمتعلم "من أجل خلق إنسان جديد، يجدد ويتجدد ويغير ويتغير من خلال وعيه المتسامي وثبات الوعي في ذلك التسامي .

هنا يسقط الفكر،وفلسفة الفكر،وعلمه وعمله، إذا ما كان كل ما بناه قابلاً للهدم، نظراً لذاتيته المفرطة.

ويعرّفها بستالوزي بقوله:"إن التربية هي تنمية كل قوى الطفل كاملة متلائمة" والغرض منها حسب (كانت) هو:" أنها تصل بالإنسان إلى الكمال الممكن" 19

ويذهب (جيمس) إلى القول:" بأنها إعداد للفرد ليسعد نفسه أولاً، وغيره ثانياً". ويأتي الكاتب بتعريف أرفع من خلال هذه العبارات " إن حقيقة التربية هي مساعدة الطفل على إنماء جميع ملكاته وقواه، وتكييفها، وإيجاد التوازن بينه وبين البيئة التي يعيش فيها، وإظهار ملكاته الكامنة بغية إعداده للحياة السعيدة الكاملة، والنجاح فيها بحيث يصبح مواطناً عاملاً،قوي الجسم، صحيح العقل، نقي الوجدان،منسق التفكير، حسن التعبير مع أبناء وطنه ومحباً لإنسانيته". ص 19

نرى أن واجب الإنسانية أن تعي الواجب ، فالإنسان في عالمنا يسير على رأسه لأنه فكر، والفكر مصلحة ، والمصلحة اختلاف ، والاختلاف تناقض وصراع إلى أن يحقق الصراع أغراضه في الحرب .

إذن،عالمنا هو عالم حرب،ومن الواجب أن يحيا العالم في الحب والسلام والخير والأمان من أجل أن يصبح نتاج العالم حدائق سلام ، وليس خنادق حرب.

إذن ، هو الوعي الذي يحقق غاية الإنسان في هذا الوجود، الوعي يجعل الكل عطاء ، إذا ما كان الوجود أبداً عطاء حتى التراب.

من أجل أن يصبح العالم حديقة واحدة ؛ يجب أن يتعلم هذا الطفل السلام وليس الحرب، الصدق وليس الكذب ، الخير وليس الشر، العقل وليس الفكر، الثبات وليس التقلب والمراوغة والدجل.

فالواجب هو أن يعي هذا الإنسان الوجود بدقته ونظامه وشموله " من العلة إلى الغاية " يجب أن يقدم هذا الإنسان جميع طاقاته ، وجميع إمكاناته، وجميع قدراته ، وجميع إبداعاته إلى هذا الوجود، من أجل أن يتحقق في هذا الوجود، لأن نصف العالم لا يعمل، والنصف الذي يعمل لا يقدم إلى الحياة كل قواه، ونصف العمل يذهب إلى القتل، وهذا الذي يذهب إلى القتل من موارد العمل، هو تحت إدارة الفكر بمجمله .

الواجب هو وعي الواجب في إزالة التضاد والتناقض والصراع والحرب من هذا العالم ومن هذا الإنسان، ومن هذه الطبيعة 0 هنا يتوحد الكيان والكينونة في بوتقة الإرادة الغائية من أجل كمال الذات والصفات . هنا يزول الفكر وعالمه القائم على الباطل.

إن الكاتب يقول الحق " في أننا بحاجة إلى مربين أكثر من حاجتنا إلى معلمين". لكننا نقول قول الفصل "بأننا بحاجة إلى تغيير شامل من أجل أن يعود الإنسان يسير على قدميه وليس على رأسه كما هو الآن". هذا إذا ما سألنا عن أولئك المربين في عالمنا المحكوم في أن يسير الإنسان على رأسه 0

إن العصر قد أحرق مراحل عدة ،أحرقها بنار جهنم، من جراء نهم الفكر على الثراء العاجل ، فقد شابت هذه المراحل من كثرة العناء، وشاخ هذا العصر من كثرة اللعنات المنصبة على جبينه عبر زمنه القصير.

إن الحياة مهددة بالزوال هذا حسب ما نراه ، وما جاء به المعلم في كتابه " أدب الحياة" .

فقد كنّا نعيش الفاقة والفقر، أيام كنا نتناول طعاماً بسيطاً، صحيحاً، نظيفاً، لذيذاً، خالياً من السموم. فكانت أجسامنا نظيفة، صحيحة ، قوية، رشيقة، خالية من المرض.

إن أجسامنا اليوم ؛ خالية من الصحة ، وطعامنا لا لذة فيه، حتى أرضنا لم تعد قادرة على العطاء بدون تلك السموم التي تعبيْ أحشائها وأحشائنا.

## هدف التربية

يقول الكاتب: " اختلف المربون في تحديد هدف التربية. فرأى بعضهم، أن هدف التربية،هو تربية العقل ورأى آخرون ، أن هدفها، هو تربية الشخصية. بينما رأى غيرهم،أن هدفها هو تربية الخلق. ورأى البعض أنها نشر التعاليم الدينية. أو ( أنه الكمال المطلق ليصبح الفرد عضواً عاملاً وكاملاً في المجتمع) أو ( تعويد الفرد على النفس بتربية استقلالية). كما رأى آخرون : ( أن الهدف من التربية هو كسب العيش ) الخ .... ص 20

إنما نرى غير ذلك كله، فمن هو ذلك الملاك فينا الذي سوف يربي عقلاً دون أن يعرف العقل؟ وهل يعود أرسطو من أجل صناعة البشر على نحو " الاسكندر" مثلاً للشخصية المثالية؟ وهل يستطيع الفرد أن يحيا على الخلق وحده؟

فالوعي إنما هو المنقذ من الظلال الذي نعيشه ، هو المحرر، هو المخلّص، هو المعلم والحكيم والمدبّر، هو سبل السعادة والغبطة والفرح، والسلام والحب والأمان، هو المسيح الجديد ،هو العقل؛ عقل فيثاغورس وسقراط وأرسطو وأفلوطين وجنبلاط وغاندي، وليس عقل بيكون وديكارت ومن حذا حذوهما .

إن العلم قد يفتح لنا بوابة الهدف من الحياة ، لكن الوعي قد يرقى بنا إلى الغاية القصوى من الحياة والوجود والإنسانية والإنسان.

فمن المحزن أن نعيش من أجل العيش ونحن جوهر الوجود، من المحزن ألاَّ نعرف شيئاً عنّا وعن الحقيقة وعن الوجود، من المحزن ألاَّ ننتظم في سنن هذا الوجود.

إن مسؤولية البشر لا تزال وراء حجاب الفكر، و هي التي بوعيها تصنع الإنسان الملاك.

كم حزنت وكم احزن في كل يوم أرى بشراً يهيمون على الأرض من أجل كسرة خبز يابسة، والأرض جنة في ذاتها، والبشر ملائكة في ذاتهم.

تباً لهذا الفكر إذا ما كان جهنم في ذاته ، إذا ما كان هو الدجال الذي لا يرى إلا بعين الظلال وحدها. أليس هو أعور الدجال الذي قال عنه " مصطفى محمود"؟

ألم يكن هناك مئات الآلاف من الكوادر الشيوعية النظيفة قد أصبحت عالة على أنظمة غير نظيفة في هذا العالم، ويتطلب الوضع إزالتها بكافة السبل؟ فكيف سيقبل عصرنا هذا، عصر الفساد المستشري في عروق دولته القائمة على الفساد؛ مربين شرفاء؟

وخلاصة القول عند المؤلف تتدرج تحت هذه المفاهيم والأسس التالية: "

أولاً : إن التربية عملية دائمة تمتد على حياة الفرد من المهد إلى اللحد، وتشترك فيها مؤسسات المجتمع المختلفة.

ثانياً :إن التربية لا تتناول ناحية معينة من شخصية الفرد ،بل تتوجه إلى الشخصية بكاملها ، بما تنطوي عليه من جسد وعقل وعاطفة وروح.

ثالثاً : إن التربية عملية فاعلية لا انفعالية، فهي لا تُفرض فرضاً على التلميذ أو الطالب، بل تأتي نتيجة تفاعل بينه وبين المعلم.

رابعاً : إن غايات التربية صادرة عن معنيين رئيسيين: أولهما القيم الإنسانية الأصيلة التي لا تتبدل بتبدل الأزمان، والتي تسعى التربية إلى تحقيقها في شخصية الطالب لتخلق منه شخصاً متميزاً بأنبل الصفات الإنسانية. وثانيهما حاجات المجتمع المعيّن الذي يُهيأ الطالب للعيش فيه والعمل لخدمته.

خامساً: كما أن تربية الفرد حصيلة عوامل عديدة تشترك فيها مؤسسات المجتمع المختلفة، كذلك يجب أن تهدف إلى جعل الفرد قادراً على التأثير في المجتمع.

سادساً :إن العنصر الأساسي في التربية هو المعلم،هو كما قلنا، اتصال عقل بعقل، ونفس بنفس – بل شخصية بشخصية.

سابعاً: إن التربية لا تزهر ولا تثمر إلا في جو تتوافر فيه الحرية: حرية الفكر والقول والعمل، الحرية التي لا تنشد إشباع الهوى بل إتباع المُثل العليا" ص 21

بديع هذا الكلام، إنما ليس في مجتمع جسده مزروعاً هنا، يشكل سداً منيعاً بوجه التقدم والرقي، وروحه هناك تتغنى على نغم الحضارة القديمة من أجل تجسيد القديم القائم على التقليد.

إن التقليد المسيطر بواسطة سلاح أنظمة العصر، يشد الإنسان إلى الماضي الذي يجسد الاختلاف القابع في ذهن إنسان العصر، حيث يقدم هذا الإنسان سعادته و رقيه و علمه و حريته و سعادته إلى أنظمة فاسدة تجد أن التصرف يطيل عمرها ويحقق مجدها.

فنحن مع تلك المفاهيم النبيلة التي نريد تحقيقها قولاً وفعلاً ، لكن السؤال الكبير هو ، من أين يأتينا ذلك المعلم ؛ إذا ما كان بيننا معلم واحد وقتلناه؟

إن المعجزة الكبرى هي خلق المعلم في عالم لا يسمح بمعلم يُعّلم واجب الحياة في هذا الوجود.

إن من الأسهل ألف مرة تغيير المجتمع بأسره ، حين يصنع كل فرد من ذاته المعلم. فنحن بالوعي نغتسل من موبقات فينا– ونصل، ولا من محرر، ولامن رسول، ولا من مخلّص، سوى الوعي، والعمل بالوعي.

فقد محوت من ذاتي التقليد والمقلدين، وخلعت عني جلباب الفكر والمفكرين ، وأصبح بيتي ومكتبتي وقلمي عالمي كله، لتصبح الكلمة هي صلتي بالغد، غد الحياة التي أتصورها من أجل إنسانيتي.

هي مملكتي الكبيرة، في مكتبتي الصغيرة، فالحب الذي يحتوي مملكتي الكبيرة، هو كالعبق الندي يملأ شذا رياحينه - مملكتي الصغيرة.

جميل أن يقول المؤلف: " إن التربية عملية فاعلية لا إنفعالية ". بديع هذا الكلام إذن، يجب أن ننعتق من قيود الفكر بواسطة الوعي الذي يحررنا من الإنفعال حين نصبح إرادة عقلية غائية، فنسموا إلى إرادة الحياة التي لا موت فيها ولا فناء.

جميل أن يقول المؤلف:" لا يمكن للتربية أن تزهر وتثمر إلا في جو تتوافر فيه الحرية ". إذن، لا بد من الإنعتاق من قيود الفكر إذا ما كان المؤسس الفعلي لشريعة الغاب، وفي ظل تلك الشريعة التي يعاني منها العالم بأسره ، لا توجد حرية.



obeikandi.com

إذا ما كانت الحرية هي الوعي الخالص ، وكان الفكر قد آثر الجهل تحقيقاً لذاتيته.

يقول الكاتب : " يحتاج الفرد إلى التربية لأسباب جوهرية ثلاثة :

1 – لأن العلم لا ينتقل من جيل إلى جيل بالوراثة.

2 – لأن الطفل مخلوق كثير الاتكال ، قابل للتكيف .

3 – لأن البيئة البشرية كثيرة التعقدّ والتبدّل .

**1 – العلم لا ينتقل من جيل إلى جيل بالوراثة**

فابن الجاهل وابن العالم يولدان متساويين من حيث خلو الذهن من المعرفة. وبتعبير آخر ، ليست الحضارة ميراثاً بيولوجياً يأخذه الخلف عن السلف دون جهد وعناء .

ويتابع الكاتب قوله : لقد جاء في كتاب للإمام الغزالي ما يلي: ( لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم ). وقال مربٍّ آخر بتعبير أدق وأشد لهجة: (إن السبب الذي من أجله نحتاج إلى التربية هو أن الأطفال لا يولدون بشراً، بل يصيرون بشراً بفضل التربية ). " . ص 24

نحن نرى الحقيقة غير ذلك، إذا ما كان خلقهم هو امتداد لإبداعهم الأول من روح الله لكن حرمانهم من العلم ، وجعلهم بؤساء يجهلون، هو في ذمة الفكر، إذا ما كان مطلب الإنسان هو العلم والمعرفة والوعي،وإذا ما نظرنا إلى القارة السمراء فقد نجد أن الفكر الاستعماري هو سبب بؤسهم.

كما أن الوراثة لها من الفطنة والذكاء بحيث تخوّل أبناء العلماء القدرة على تخليد علوم آبائهم ، لكن هذه القدرة ليست مطلقة لدى أبناء العلماء .

إن الذين حُرموا من العلم والمعرفة والوعي،هم جميعاً ضحايا لذاتية الفكر، الذي نهب وسائل سعادتهم وكدسها ذهباً أحمراً في المصارف والبنوك.

كما يرى الكاتب أن الطفل مخلوق كثير الاتكال، قابل للتكيُّف حيث يقول:

" إن الطفل مخلوق ضعيف كثير الاتكال بالنسبة إلى صغار الحيوانات، مع أنه أرقاها مرتبة وأشدها ذكاء". ص 25

نرى أن الإنسان هو جوهر الوجود، هذا الوجود الذي أوجد بحكمة مبدعه،تلك القيم البديعة من أجل الإنسان0

إذن، لا بد من القول: إن الإنسان يرقى على كل كائنات الوجود، بكل شاردة في كونه وكيانه وكينونته،إنما هو هبة الوجود،وجميع موجودات الوجود هي هبة المبدع الحكيم إلى الإنسان.

هو بالله الأغنى، والأجمل والأشرف والأقدس، إذا ما كان حجاب الإرادة الإلهية في وجود مادي، إذا ما كان جملة خلايا يحتويها الجوهر،إذا ما قلنا " أللّه في الناس" حسب المثل، وهو المثل.

فنحن نظلم الإنسان إذا ما نظرنا إليه بعين الفكر ونحتقره ، حين جعل الإنسان أداة رخيصة من أجل السلب " جنبلاط – غاندي - الاسكندر - أرسطو" صور عن الإنسان، وأفريقي يتضور جوعاً وظلماً وقهراً وذلاً... صورة واحدة عن الإنسانية.

فسيولوجياً،يأخذ الطفل زمناً طويلاً من أجل إتمام أجهزة وأعضاء معقدة التركيب والأداء.

نجد أن الطفل دائب الحركة والتطلع والنظر من أجل بناء قواه الكلية معاً، إذا ما ترافق ذلك مع الرعاية الدائبة لبناء إنسانية هذا الطفل من خلال كيانه الإنساني وذاته الجوهرية معاً ، والحرص على الانسجام التام بين كيانه وكينونته.

فمن هو المربي إذن؟ هو الذي تعلم من الحياة " أن يكون رسالة حياة في بناء إنسانيته بكل أبعادها، وهذا رأينا فيما طلبه الكاتب .

ويرى الكاتب أن البيئة كثيرة التعقد والتبدّل حيث يقول :

"والسبب الثالث الذي من أجله يحتاج الفرد إلى التربية هو أن بيئته كثيرة التعقد والتبدّل. فهي معقدة من جميع نواحيها المادية والاجتماعية والروحية، وقد طُبعت بطابع الحضارة" ص 26

حين اتخذت حركة رأس المال سبل الربح فقط ، جعلت من الإنسان وسيلة دنيّة من أجل تحقيق هذه الرغبة، فخضع العالم كله ليصبح وسيلة استهلاك لكل ما تنتجه هذه الحركة تحت عنوان " الحضارة والرقي والتقدم " حيث تُنزف أعراق

الناس ودمائهم وسعادتهم تحت هذا العنوان الجميل، ولم يعد لديهم الوقت للنظر إلى ذاتهم لأنهم في سباق مع زمن لا ينتهي قبل أن يمتص آخر قطرة من دمائهم.

يموت الإنسان، وتحيا الحضارة، تموت الشعوب، ويحيا الفكر ذلك الحضاري الملهم ، يموت الكل في سبيل المادة وتبقى المادة حية براقة.

كان الإنسان يُقتل بالسيف والرمح فقط.واليوم يُقتل الإنسان بآلاف الأسلحة الفتاكة المتطورة ومن وراء آلاف الأميال البعيدة،وكان السيف يقتل رجلاً،واليوم في عصر الحضارة قد يُقتل جميع أهل الأرض في ساعة واحدة.

وفي مجالات الصحة ، فقد راح البشر يبحثون عن طب بديل ينقذهم من نهب العيادة، وغلاء الدواء، كما أنه يفيدهم بلا مضرّة.

إن سرعة التغيير جعلت الإنسان يلهث وراء العصر من غير فائدة تذكر،وامتلأ السوق من فائض البضاعة البراقة من أجل أن يصبح هم البشر الاقتناء الفاحش من الأشياء ومن الأزياء.

بديعة هي عظة الإمام علي ( لا تعُودوا بنيكم على أخلاقكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم ). وقال جبران : " إن أولادكم ليسوا ملكاً لكم". ص 27

يقول الكاتب سائلاً : " لماذا يحتاج المجتمع إلى التربية ؟

لأنها تساعده على سد حاجتين من حاجاته الأساسية وهما :

1 – الاحتفاظ بتراثه الثقافي

2 – تعزيز هذا التراث .

**1 – الاحتفاظ بالتراث الثقافي**

إذا أراد المجتمع المتحّضر أن يُكتب له البقاء والاستمرار، فلا بد له من الاحتفاظ بتراثه الثقافي وصيانته من الضياع والاندثار،ونقله إلى الناشئين عن طريق التربية.

**2 – تعزيز التراث الثقافي**

(إن التربية هي التي تستطيع أن ترفع شأن المجتمع، وتحيل ركوده إلى حركة، وفوضاه إلى نظام ... وليس هنالك إصلاح حقيقي إلا إذا قام على أساس من تنشئة الأجيال المقبلة .... " ص 28

إن التطور سنّة الوجود ، فالرسالة المقدمة من الجيل القديم إلى الجيل الجديد ؛ يجب أن تكون قابلة للتجدد والتطور والإبداع ، إذا ما تمّ غسلها من التقليد ، وأن تكون قبلتها الغد المشرق وليس الأمس البعيد.

لماذا يحتاج المجتمع العربي إلى التربية يسأل الكاتب ويجيب بقوله:

" لا بد لنا من القول بوجه عام إن المجتمع العربي يجتاز اليوم مرحلة من أدّق مراحل تاريخه. فقد عبثت به يد التاريخ ردحاً من الدهر، فطوحّت به وأقعدته عن السير في طريق التقدم والعمران. إن المجتمع العربي يجد اليوم نفسه متخلفاً عن ركب الحضارة العالمية، فإذا أراد اللحاق بهذا الركب قبل فوات الأوان، تحتم عليه أن يعوِّض في جيل واحد ما فاته من أسباب الرقي والتقدم في أجيال عديدة.

يحتاج المجتمع العربي ، قبل كل شيء وفوق كل شيء، إلى تنوير جماهيره كباراً وصغاراً، ورجالاً ونساء، في كل بقعة من بقاع العالم العربي" ص 30

علينا أن نتعلم روح الحضارة،وأن نعُلمها إلى الجيل الجديد بدقة ونظام وشمول، نعُلمها بروعة الضمير، ورفعة الأخلاق، ونبل الغاية التي نتحمل مسؤولية تنفيذها ،

إن الأسرة هي نواة الوجود الإنساني،فمن أجل الحفاظ على الوجود الإنساني لا بد من صيانة النواة، صيانة تامة، إذا ما كانت الأسرة هي الوحدة الصغرى التي تصنع المجتمع صناعة حقيقية.

إن نتاج ضياع الأسرة هو ضياع المجتمع ، وإن متانة حلقة الأسرة هي الحافظ الفعلي لمجتمع يقوم بواجب الحياة في وجود دأبه جمال الحياة.

## التربية والتعليم والمعرفة

يقول الكاتب :

" التربية إنما تعني في نظرنا تفاعل نهجين تربويين

- أحدهما يهدف إلى صقل العقل وتنظيمه، وشحنه بالمعلومات اللازمة. وفي هذا الحقل تنظيم العقل وتدريبه وتفتيحه وصهره في اتجاه الانتظام والقيم هو أهم من تعبئته بما يرد في كتب العلم والأدب والفلسفة والتاريخ.
- والنهج الثاني يقصد إلى تهذيب العاطفة والتصرف ... والإنسان لا يكتمل، وقلة هم الذين ينعمون طبعاً بهذا الاكتمال، أو بالأحرى لا يتجه المرء نحو الاكتمال إلا إذا وقع الانسجام الباطني والظاهر بين العقل والقلب".ص 158

بعد أن وضعنا عدة مؤلفات عن العقل، كان نتاج نظرتنا البعيدة في العمق الذي لم يلتفت إليه من ذهب إلى نهج الفلسفة الأوروبية والمذاهب العقلية من خلال مبدع العقل الأخير "ديكارت" ذلك العقل الذي يحتاج حسب ديكارت إلى صقل وتدريب من قِبل مولاه الفكر حتى يصبح قابلاً للاستخدام .

فإذا كان هذا العالم هو عالم الفكر ويفعل بعباد الله ما يشاء، وإن العقل المبدع الواحد– ضمير الوجود وإرادة مولاه العزيز الحكيم وفعله، يشهد على فعل الفكر من علو بموقعه النوراني الشريف " من ذلك العمق الذي أبصرته في تأملاتي – هو في عالمه النوراني الشريف، وليس أداة لشيء على الإطلاق.

فمن يصقل عقلاً هو في ذاته جوهر الوجود؟ ومن يَّعلم عقلاً هو في ذاته قلم الوجود؟ ومن يستخدم عقلاً هو في ذاته حرية محضة، و من يصهر عقلاً، هو في ذاته صفاء محض؟ ومن ينظّم عقلاً هو منظّم الوجود؟ ومن يشحن ما هو معنى الوجود الجوهر؟

إننا فكر، منذ الرغبة الأولى، منذ الخطيئة الأولى وهي ( قبول الخطيئة)، وحين ذهبنا وراء الخطيئة ، صرنا عبيداً للخطيئة التي فتحت لنا ميادين الاختلاف.

إن نقطة بيكار وجودنا "عقل "جوهر غبطة– جوهر شوق - هو في صميم كل منّا كجوهر، ونحن مشغولون عنه وعنّا بأغراض الفكر. هو كينونة الوجود، ونحن مشغولون في الكيان، هو يسأل عنّا بكل لحظة، ونحن نسأل عن عقل ديكارت الذي يحقق أغراضنا ومصالحنا، هو لا يرانا كمادة، ونحن لا نراه

كجوهر، هو الغريب المفارق،ونحن الضالون عنه وعنّا ،هو وعي محض ، ونحن مصالح ورغبات.

إن الذي يهذب وينظم ويرقى ويتسامى بجميع الأبعاد الإنسانية ، إنما هو الوعي الذي يحرر أغراض الحياة من هيمنة الفكر، لتصبح طليقة الحركة الإرادية حسب إرادة عقلية سامية، فحين يتحقق الوعي، يحقق الثبات المطلق للحركة الغائية نحو الكمال الإنساني.

إن ا لمجتمع الأوروبي قد انتظم مادياً وأخلاقياً حسب رؤيته الأوروبية، وحقق له هذا الانتظام ما وصل إليه من حضارة و رقي،لتصبح شعوب تلك القارة جلها، فاعلة ورائدة في صنع مستقبلها حسب دراسة راقية بالنسبة لها.

ورغب الفكر الأوروبي بقاء شعوب العالم الثالث جلها تحت أنظمة عشوائية من أجل سهولة ارتباطها في المصالح الأوروبية.

## أزمة التعليم الحديث

يقول جنبلاط في رسالته إلى المؤتمر الخامس لطلاب حزبه : " أيها الرفاق، إجتماعكم اليوم هو شعوركم بالأزمة التي يمر بها التعليم الحديث،ليس هنا في لبنان فقط بل في العالم كله، نتيجة التطورات التي أحدثتها تطبيقات التكنولوجية الحديثة في حياة الإنسان والتبدلات التي طرأت على الحضارة.

فلا بد أن نشهد – وسط ما نلمسه ونراه – انعكاسات هذه الموجة الكارثة المادية من الحضارة على حياة الطالب ذاته وعلى مستقبله.

إنني لا أغبط جيلكم على ما سيواجهه من انجذابات وعقبات وصعاب،ولا على ما سيتعرض طريقكم المعيشي،قبل أن تتصحح مناهج هذه الدنيا، ونتحرّر من الليبرالية الفوضوية في كل شيء وينعتق الإنسان، وهو اليوم عبد المخترعات وعبد الآلة لسلطانه السليم.

ولا مندوحة لي أيضاً من أن أنصحكم بقراءة تقرير الأونيسكو الأخير الذي اشترك في وضعه خبراء من العالم الغربي ومن العالم الشيوعي والاشتراكي أيضاً، هذا التقرير الدولي الخطير للمؤسسة العالمية المعروفة يعلن فشل المدرسة الرسمية، أي العامة، ويتنبأ بأزمة في حياة المجتمعات نتيجة هذا الفشل. ومن ضمن الأسباب التي أدت إلى هذا الفشل هو عدم التوافق بين المعلم وبين التلميذ 0000 فإننا لم ننتبه إلى أهمية قيام علاقة إنسانية بين الطالب وبين المعلم" ص 163

نحن وجدنا من خلال نظرتنا المتأملة في جملة المفاهيم والقوانين القائمة في هذا العالم،أنها لا تستوي مع قوانين الوجود وسننه وصراط أمره؛ لنقل: إن كل ما هو قائم هو قائم على باطل،ولا بد من وعي ذلك من أجل الحياة التي أصبحت مهددة بالفناء.

كان المعلم جنبلاط يرقب الحركة من موقعه في قمة الجبل، وكنتُ بعين جنبلاط أرقب الحركة من الجبل المطل على المدينة، وبعد أن قال جنبلاط كلمته وذهب إلى الغد – أقول كلمتي قبل بداية السفر.

إن جُل المجتمع العالمي يجهل، والجهل قائم على باطل. وأن الذين يعقلون الحركة بعقل ديكارت همُّ محنة التقنية تلك ؛ لأنهم يعقلون بعقل قائم على باطل؛ من إبداع مُبدع كهذا، لأنه أبدع ما هو باطل،من رحم فكر كهذا، إذاً ، فأنهم أشد ضراوة على الحياة من الذين يجهلون.

يقول جنبلاط: " وكم من المعلمين والأساتذة والمدرّسين في عصر أصبح فيه التعليم وظيفة تعيّش لا رسالة تنوير وإفادة مشتركة وتربية وتثقيف، وابتعادهم عن الطالب ، الحقائق الإنسانية البدائية، فيقع وينعكس تأثير ذلك عليهم أيضاً. وفي القديم كان الطالب هو الذي يختار معلمه .... فهل العلم سوى وجه من ذلك ؟ ! ص 165

فقد أتيت في محاضرة لي، على جوهر هذا الموضوع في عباراتي هذه:" متعلمون نحن ، إنما تحركنا مفاهيمٌ جاهلة، إذا ما كانت الشهادة في مجتمعنا غاية من أجل استحقاق الوظيفة، ثم نعود إلى أمية المفاهيم.

ليس من الواجب في يومنا هذا ، أن يختار الطالب معلمه ، إذا ما كان الواجب أن يختار الوعي قوانينه المنسجمة والمتآلفة مع قوانين الوجود ، الوعي الذي يُطلب منا من أجل الوصول إليه ؛ إن يتسلم شرفاء العالم قيادة زمام التغيير الحتمي في وعي الضمير، من أجل أن يكون العالم على يقين " أن الضمير هو المحرك الفعلي لحركة الحياة ، من أجل أن تذوب تلك الحركة بنظام الوجود ، بروح الوجود – حين تتجلى إرادة الوجود العقلية من ذات كل نفس، من ذات كل نبت، من ذات كل ذرة في الوجود".

يقول المعلم جنبلاط:"ويرتقي بنا هذا المبدأ ويبلغ الاقتناع الكلي فينا ، عندما نتذكر أن التعليم المحض لا يمكن أن ينفصل في ذهن الطالب عن اقتباسه لكل ما يكون عليه المعلم من تربية ومن صفات وتوجهات معنوية وفكرية. فالطفل ثم التلميذ فالطالب هو مادة لينة كالعجين ينطبع فيها كل شيء في المستوى المادي والمستوى النفسي على السواء". ص 165

إن وعي المسلمات الحقيقية للحياة في الوجود ؛ وغرسها بأعماق الطالب بآلة الحكماء ، وريّها بماء الحب منهم ، قد تجعل تلك المسلمات هي القائد المنتصر في حديقة هي الفرح في ذاتها.

إذن ، نحن بأشد الحاجة إلى حكماء يصنعون بحكمتهم منهج حكمة ليكون ينبوعاً ينهل منه الجميع .

إذن ، نحن بأشد الحاجة إلى معلمين تعلموا واجب الحياة في مدرسة الحياة الفرح ، من أجل أن يزرعوا الفرح في كل مكان وفي وفي كل زمان.

إذن نحن بأشد الحاجة إلى علماء يوحدون السبل جميعها في سبيل الحقيقة التي هي مورد الجميع ، وغاية الجميع ، إذا ما كانت الأديان كلها من ذات النبع ، وإلى بشرية واحدة ، إذا ما كانت الإنسانية واحدة ، وغايتها واحدة ، وهي كمالها الإنساني ،

إذا ما كانت الحرية واحدة ، والسيادة واحدة ، والسعادة واحدة – ورغيف الخبز واحد ، فلماذا هذا البعد بين الأخ وأخيه؟ لماذا هذا الاختلاف بين البشر وجميعهم من

ذات واحدة– من جوهر واحد ،ومن طينة شريفة واحدة؟ لماذا هذه الحرب بينهم؟ لماذا هذا العزاء المقيم في الصدور جميعها؟

إذن، لماذا يقتل الناس ذاتهم،وهي ذات اللّه؟ لماذا يقتلون أللّه في ذاتهم ويعبدونه بألسنتهم أليس هو طوفان الكفر والإلحاد هذا الذي يفعلون؟

فالأحرى بنا تغيير هذه المناهج التي تعلمنا قتل إنسانيتنا، وخلق إنسانية الحياة الفرح من خلال مناهج مكتوبة بقلم الحب وبمداد المحبة،من حكماء وفلاسفة وعلماء سادة كلمتهم ، وسادة علومهم ، من أجل أن تتعلم الإنسانية لأول مرة ، علم السيادة، وليس علوم الذل والعبودية.

هذا إذا أيقنا أن كل ما هو واقع هو باطل في عالم الصدق والكذب عنده سيان، عالم قائم على الجهل ، والجهل قائماً على باطل.

## تكوين الإنسان

يقول المعلم جنبلاط : " على الأطر التعليمية أن تهدف إلى تكوين الإنسان في ذاتنا. كان يقال في الماضي: الحياة أولاً والفلسفة ثانياً. ونحن نقول :( حتى نتمكن من عيش حياة فاضلة علينا أولاً أن نمارس الفلسفة أي أن نكون قد دفعنا نمو الأداة الفكرية والتقنية والمعنوية التي تسمح لنا أن نعيش، أن نكون قد دفعنا نموها إلى الأمام. إن تهذيب الخلق يتطلب تكوين الكائن الإنساني بكامله، عد تحريره من عقده ومن كل شيء يحده [ تقليدي أو مصطنع ] وحتى في النهاية تحريره من تطابقه الوهمي مع الذهن والجسد والحواس.ويجب علينا في سبيل بلوغ هذا الهدف التذكير بهذه الحقائق الشبه كلاسيكية المفروض احترامها ). ص 194

نرى أن من الواجب أن يتعلم الإنسان ما يجب عن ماهيته الجوهرية،وعن كيانه المادي، إذا ما كان " مادة وصورة " حسب أرسطو .

بقدر ما يعلم من هو يصبح، فحين يعلم أنه من روح اللّه، فلا بد أن يقدّس معرفته هذه ، ويرقى إلى مواقع القداسة، وحين يعلم أن كيانه هو حجاب ماهيته المقدسة، لا بد أن يصون هذا الكيان، وحين لا يعرف ، فهو يجهل، وما أرخص الجهل.

هو الإنسان في وجود يحفظه ويصونه ويهبه الحياة الفرح، غير أن جهله يحرمه من هبة الوجود، فيبقى شقياً يدب في أودية شقية.

إن شقاء الإنسان على الأرض هو في ذمة الفكر، وأن في كل ارتقاء على سُلم المعرفة ، اتساع في كونه وكيانه وكينونته إلى عالم حرٍ ؛ نسيجه الغبطة والسعادة.

فالإنسان ،إنما هو ذلك الكوكب الدرّي السابح في فضاء اللانهاية، هو إشراق نور الحياة الفرح مع كل صباح جديد، إنما الواجب يقتضي وعيه لذاته.

إن في تكوين الإنسان معجزة إبداع ، معجزة خلق ، معجزة وجود. وكأنه لغز الطبيعة والحياة والوجود، فلم يصل إلى حلّ لهذا اللغز الغريب جراء هيمنة الفكر؛ ولن يصل ما دام يجهل تكوينه ، ومعجزة ذلك التكوين.

يقول المعلم جنبلاط: " وإذا أردنا أن نتساءل ما هو( الأنا)،أي شخصية الإنسان المزروعة في معظم الأحيان على هذه (الأنا)، نجيب: هي الذاكرة" ص 195

وكما ورد في محاورة أفلاطون : هو " تذكر". أي عقل يحتوي العلم وصفحات الأجيال إنما هي " تذكّر"

يقول المعلم جنبلاط: "وإذا أردنا في الحقيقة دفع التحليل إلى أعماق أبعد فسوف نرى أن كل الأشياء المدركة ليست ـ على حد قول برتراند رسل وديراك والعديد من علماء الفيزياء والنفس ـ سوى إدراك ذهني أما حرية الاختيار فلا تبرز إلا عندما نصل إلى مستوى أعمق في الكائن وهو مستوى يتخطى ما هو ذهني.

ويقول: علينا أن نبدأ من هنا ، أي من تهذيب الذاكرة، ومن هذا المنطلق يمكننا فهم أهمية البيئة، وأهمية بيئة صادقة، نزيهة، صافية خاصة على صعيد المدرسة، والسينما ، والتلفزة ، والإذاعة، والمسرح، والنشرات الدورية والصحف" ص 195

إن العقبة الكبرى في سبيل الوصول إلى حقائق الوجود ،وحقائق قوانين الوجود ، هي توجه العلم إلى الظاهر، وإغفال الجوهر، حين تصور الظاهر في ريشة فكر لا

يقبل سواه في هذا الوجود، حتى استطاع اختراق الكتب السماوية من خلال شرح يحقق له بغيته الذاتية، حيث أخرج الإنسان من بوتقة اليقين، إلى دائرة الشك بكل شيء حتى في ذاته الجوهرية، وأخرجه من وداعة الإبداع ، ليلقاه قادماً من غابة موحشة قفزاً بين الأشجار العالية ، وليس مشرقاً بنور من نور الأزل.

فعلينا بتهذيب بصيرتنا حتى تنجلي عن ذاكرة هي في ذاتها إرادتنا الحقيقية التي من خلالها نعقل الحياة والوجود.

يسأل المعلم: "هل في حياة الإنسان شيء أكثر جوهرية من التعلق بالجمال والبهجة؟ أليس مصدر آلام العالم الحديث فقدان العلاقة مع الينابيع السرمدية للجمال والشكل والصوت لأجل الركض وراء وسائل الراحة أو البحث عما هو عملي زعماً، ومن مختلف منتوجات الاستهلاك.

لا بد لعملية تهذيب العقل العادي أن تقوم على إصلاح أساليب مناهج تعليم الفلسفة وتعميق هذا النوع من التعليم". ص 196

إن الجمال والبهجة هما الموطن الذي يحققه الوعي حين يعقل ذلك الموطن – من خلال إرادة يحققها وعي المعرفة إلى سبيل الوصول.

وكم كنت أتوق أن أكون طالباً من طلاب أرسطو أو المعلم لأرفع صوتي سائلاً،

- هل عقل أرسطو يحمل فكراًعلى كتفه كما جاء في كتاب المعرفة عندأرسطو؟
- وهل هذا العقل الذي يصفه المعلم بالعقل العادي هو من اختراع فكر ديكارت إذا ما كان الفكر يعمل الموبقات؟
- وهل هذا الفكر الذي قال عنه هيجل هو ذات الفكر الذي استخدمه " تيير ونابليون الثالث بقتل كل من يده خشنة بكومونة باريس " ؟
- وهل هو الفكر الذي قاد نزوات الإنسان وغرائزه وأغراضه ومصالحه بسيف البطش والقوة عبر التاريخ كله ؟
- أليس هو الذي قتل الإيمان في صدور الناس جميعهم منذ أن نشر أشعيا النبي، وقتل فيثاغورس وزينون وسقراط والمسيح ويوحنا وزكريا والحلاج

وغاندي وجميع الذين قالوا كلمة حق عبر تاريخ البشرية كله وآخرهم وليس آخرهم هو معلم الحكمة كمال جنبلاط؟

- إن كان هذا هو ؛ سوف أقول مع أتمنندا : أنا لست فكراً وليس لي فكر.

...

إن الفكر هو القائدٌ لأغراض الحياة في عالم الطبيعة، قيادة تحقق أغراضه هو ومصالحه هو وليس أغراض ومصالح الإنسانية في هذا العالم، ويرى أن الوسيلة الناجعة بالنسبة له ، هي القوة .

إن العقل هو القائد لهذا الوجود من عالمه المعنوي، قيادة تحقق غاية الحياة في الوجود، تحقق غاية الإنسان، وتحقق إنسانيته ، وأن الوسيلة المثلى من أجل ذلك هي الوعي، عبر الحب والسلام والمثل والسمات والأخلاق الرفيعة العالية ، إذا ما كانت هذه السبل جميعها تتعدى عالم الفكر.

إن الإنسان الذي يكتسب إرادة السمو من خلال الوعي إلى عالمه الحقيقي؛إنما هو الإنسان الذي ينشد الحقيقة، حيث يرقى به جوهره إلى عالم العقل.

إن عالم الحقيقة هو ، عالم الحب الحقيقي ، والسلام الحقيقي، والعلم الحقيقي، والبسط الحقيقي ، والسعادة الحقيقية – هو عالم الفرح.

ويسأل ألف سائل، يسألون بلسان واحد فيقولون: ما قيمة الحياة من غير معاناة؟ فنجيب بقولنا: ما قيمة الحياة إذا ما كانت تجهل كل شيء حتى ذاتها الإنسانية، ما قيمة الحياة إن لم يكن للحياة قيمة جوهرية – يتجلى بها الحب والسلام من عالم الحب والسلام – من الذات الإنسانية.

إن الحياة معنى، والمعنى روح الحياة، حيث تتجلى الروح– يتجلى الضمير - ضمير الحياة – عقلها وماهيتها – روحها وجوهرها – يقينها وأبديتها - عمقها وعفويتها– نبلها وطيبها وعزتها – صدقها وعفتها – وعيها وأدبها وعلمها ونبلها وكرمها وكرامتها – سماتها ومثلها. .. في الوعي تتجلى الحياة بأسمى معانيها.

# الديمقراطية والتربية والتعليم

يقول المعلم: " الديمقراطية هي كل مفهوم أو نظام اجتماعي، نص و روح، تشريع وتقليد ، قواعد وحياة. فلا يمكن للنص وللتشريع وللقواعد أن يكون لها أي معنى وأي تصويب بدون الروح الذي يحييها والتقليد الذي ينميها ويصححها دائماً وأبداً بدون الحياة العملية والمعنوية التي تبلورها وتجسدها قيمة إنسانية وقيم حضارية تامة. .... فتثقيف المواطن اجتماعياً وسياسياً أمر واجب .. "ص 227

إن المثال الجميل للديمقراطية، أمام أنظارنا في العديد من دول العالم، ويشكل القاعدة الأساسية لنظام مجتمع يحقق له حرية العيش والاختيار من خلال بوتقة هذا النظام.

إن الديمقراطية هي النظام الأسهل، والأمثل والأغنى من حيث تكافئ الفرص أمام مجتمع عرف كيف يصنع هذا التكافىء.

فإذا ما تحقق الوعي في مجتمع ما، وتعدى هذا الشكل المظهري للديمقراطية؛ وقاد الوعي لنظام كهذا إلى مواقعه الإنسانية الراقية كوناً وكينونة ... تتحقق جنة ذلك المجتمع في الذات وعلى الأرض.

إن في الديمقراطية حلم الضعفاء، وقيد الأقوياء، إذا ما رعاها الضمير وحكمة الحكماء، وكانت تحقيق لنظام الوجود، وانسجام مع حركته الدقيقة الشاملة.

يقول المعلم: " وهذه الأسس هي ..

- المساواة جوهرياً في الحقوق والواجبات.
- العدالة المستوحاة من الإخاء والتعاون والتضامن.
- احترام جميع حريات الفرد أو بالأحرى الشخص المحدودة بحريات الآخرين.
- المساواة السياسية بين المواطنين على أن تؤخذ بعين الاعتبار قيمتهم وإمكانية انتفاع المجتمع بهم.
- لا يمكن فصل العلم في القصد الحقيقي للمعرفة عن الأخلاق وعن الفضيلة.

obeikandi.com

- أن نعتمد في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا الجمع بين علامات للخلق القديم وللشخصية وللفضيلة تساوي مباراة علمية أو لكل فحص " ص 227

نرى أن الاحترام ينبوع الحضارة،وقد حققه الغرب الديمقراطي بصورته البديعة. هو القيمة المعنوية لتي تضفي جمالاً وهيبة على مجتمع يحقق احترام الإنسان، واحترام القانون، واحترام العمل،واحترام الطبيعة، واحترام الغير، واحترام الحياة.

في فنزويلا، أوقفني ضابط كبير حين كنت أقود سيارتي ذات الزجاج الذي يحجب الرؤية،فاتخذت اليمين منتظراً ، فأتى من فوره رغم الزحمة الخانقة وكنت قد فتحت النافذة لأراه يقف وقفة استعداد مهيبة، ويقدّم التحية بإهابة ويقول: باسم المادة كذا من قانون كذا،والقاضي بكذا أطلب من فضلك أن تسلمني كذا. فسلمته ما طلبه وبعد اقتناعه من صحة أوراقي . أعادها إليّ بفائق الاحترام ، ثم اتخذ خطوة إلى الوراء وقدّم التحية مودعاً بعبارة بديعة تدعو إلى التوفيق بالسفر. فشعرت بأن الاحترام يحقق القيمة الإنسانية للإنسان.

إن الديمقراطية يحققها الوعي المادي بين البشر، ويحققها الوعي المعنوي في ذات الإنسان، من أجل أن تصبح الفائدة من خلال المجتمع،وليست على حسابه، إذا ما شمل الوعي الكلي جميع أفراد المجتمع.

إن عيب النظرية الشيوعية هو إغفالها للقيمة الجوهرية الموازية تماماً للقيمة المادية ، إذا ما كانت تلك القيمة هي الغبطة الذاتية التي لم يتمتع بها فكر على الإطلاق، لأنه لا يعرفها.

إذا كانت ثقافة الرأسمالية هي ثقافة الربح والخسارة؛ فتكون هي التي وضعت نفسها في ميزان الربح والخسارة، وألغت من نظام معرفتها باقي القيم الإنسانية.

وفرضت وجود الطبقية في العالم كله، وفرضت أيضاً ثقافة الرأسمال القائمة على الاستغلال والسيطرة والتحكم، وفرضت وجود ثقافة مضادة إلى تلك الحركة، إنما في سير الحركة، وليس غير.



obeikandl.com

إن حركة البناء في عصر النهضة الأوروبية، كانت ولم تزل من أجل بناء الظاهر فقط ليبقى هذا الظاهر عرضة إلى الفناء حيث لم يتم إثباته جوهرياً. لنرى أن الرأسمال ينهب القيمة الحقيقية في الوجود من أجل استثمار الإنسانية والطبيعة والحياة بجملتها قبل فوات الأوان، مع أنه يعلم أن الحياة أصبحت مهددة لكن جشعه هو الذي يقود حركة النهب هذه. أليس هو الفكر الذي يعبث في هذه الحياة؟

---

قد يستحيل تربية جيل جديد بواسطة معلمين أميين ثقافياً، وضَعّهم الفكر في دائرة التقليد المنتمية إلى واقع يجهل مع أن الإنسانية زاخرة في إمكانات مهيبة وحدائق ورود قابلة للتفتح ليملأ شذى عبيرها الكون كله، فالكلمة والقلم هما الغذاء الواجب من أجل أن يستوي الإنسان في هذا الواجب، إذا ما كان التغيير هو تغيير الإنسان من حركة متحركة حسب أهواء الفكر؛إلى قائد لحركة الحياة بكل معانيها "جوهرية – ومادية "من أجل أن تستوي الحياة في نظام الوجود المبني على هذا. حتى نصل إلى الإنسان الضمير، الإنسان الذي يفعل ولا ينفعل، يفعل فعلاً جوهرياً لا يتبع ولا يُستخدم ولا يستخدم ولا يخضع ، إذا ما كان سيداً مطلق الحرية يعي ويعقل من خلال إرادة عظيمة حققها له الوعي. فالوعي هو قبلة المستقبل من أجل أن تكون قبلة الدين من الأعماق إلى الأعماق.

إن الإنسان أصبح يعلم ويرى ويلمس جدب الحياة هذه في ظل واقع كهذا، إنما يحتاج إلى نظرية ناضجة من أجل الخطوة الأولى في التغيير على مستوى العالم كله، والخطوة الأولى هي، الكلمة المكتوبة، ثم القلم، نحن بحاجة إلى تربية جيل يقرأ ويكتب بواسطة جيل يكتب وعيه في واجب الحياة، يكتب بقلم الوعي نظرية الحياة الفرح، يكتب من ذات أعماقه – حين يصبح له أبعاداً وأعماق. نريد ممن أصبح هو في ذاته أبعاداً وأعماقاً أن تتصور كما يتصور حيث تكون الصورة هي هي من وحي الضمير.



openkanal.com

وقد يلحظ إنسان هذا العصر أن تسارع حركة التطور والتجدد والتقنية تتعدى إمكانات الإنسان الذي أنهكه اللهاث وهو يجري وراء تلك الحركة، كما أن الطبيعة قد أظهرت عجزها عن مجارات هذا الصراع الهائل والمخيف.

هنا يضع المعلم عنواناً هاماً في هذا الاتجاه هو: **تعزيز الأخلاق العامة**

حيث يقول:" إن العلمنة التي نؤمن بها هي غير العلمنة على الطريقة الغربية ولا على الطريقة الشرقية الشيوعية.

ثم يقول: قلنا ونكرر القول أننا نطالب بإلغاء الطائفية السياسية بشكل كامل من الدستور ومن جميع القوانين ونعني بذلك فصل الدين عن الدولة مع بقاء الدولة ملتزمة بمبادىء الأخلاق لأننا نؤمن بالعلمنة لا على الطريقة الغربية ولا على الطريقة الشرقية الشيوعية لأن الأخلاق في شريعة الإنسان، والدولة إنما وجدت لكي تستكمل بواسطة القوانين تنفذ الوصايا العشر التي تنص عليها جميع الكتب المقدسة.... " ص 231

نرى أن " الله هو الواحد الأحد– الجوهر واحد – العقل واحد – الدين واحد - الإنسان واحد لأنه من صميم الواحد – والكل واحد ". إذا ما كان الوجود واحداً.

فالجميل أن نعلم إن جميع أسباب الاختلاف هي من صناعة الفكر المبني على هذا الاختلاف، فالإسلام دين الوحدة الإنسانية وقد مزقه الفكر إلى مللٍ ونحلٍ، وكذا غيره من الأديان. وأن الجهل هو المرتع الخصب للفكر، مع أن الدين "محبة".

إن الناس بالفكر يقتتلون وليس بالدين إذا ما كانوا بالدين إخوة – إذا ما كانوا بالله إخوة– إذا ما كانوا بالروح إخوة – إذا ما كانوا بالحق إخوة – وبالحب إخوة إنما هم يختلفون لأنهم لا "يعقلون " إذا ما كانوا بالعقل إخوة.

إن الدين لله ، والله محبة ، والمحبة صدق وسلام وعطاء – ونبل وطيب وكرم وسعة ورفعة وخلق وأدب ..... إنما السياسة – فكر – والفكر اختلاف ثم صراع ثم حرب ثم شقاء – إلى أن تصل لما نحن فيه من محن هذا الفكر .

هو العلم رسالة، يتكشف جوهرها بالمعرفة التي ترقى بتلك الرسالة إلى الوعي الذي يحقق جوهر المعرفة بالفعل، ويتحقق بذات الفعل.

في الوعي يزول الاختلاف، والخضوع والعبودية مع زوال الفكر، وتتجلى الحياة الحقيقية – تتجلى حياة الحقيقة التي هي غاية كل غاية جوهرية.

هنا يعي جميع بني البشر أنهم غاية الوجود، وأنهم واحد يعبدون إله واحد، في نور دين واحد، وأن الذي فرّق الدين والبشر وجعلهم مللاً وشيعاً، وأبعدهم عن جوهرهم الواحد ، إنما هو الفكر.

إن واجب رجال الدين ، وعي الدين ، من أجل أن يصبحون – محبة، وكلمتهم رسالة محبة. ووجبهم تقوى الله– والدعاء إلى بني البشر أن يعقلوا الواجب، إذا ما كان العقل محبة.

إن رجال الدين في الدين يرتقون إلى مواقع رفيعة عالية لأن الدين في علو، ومن واجبهم ألاَّ يتعرضوا وألاَّ يعرضوا الدين، إذا ما كان في تعرضهم سقوط لا يليق بمواقعهم في عين مجتمع ينظرهم في علو وقداسة.

**العولمة** : إنما هي سنّة العصر، ولكنها كانت لنا شِركاً صادتنا به فسلبتنا منّا وأخذتنا إليها. فالجميل الجميل أن يصبح العالم قرية صغيرة، إنما الأجمل هو أن نكون كبشر - نحن البناء إلى هذه القرية ، ونحن البناءون، ونحن القاطنون.

فالهاتف الخلوي بديع جداً وله خدمات مهيبة، لكنه في الجانب الآخر كان وسيلة من وسائل فساد الخلق بالنسبة للأحداث جلهم، كما أنه أصبح وسيلة سرقة ونهب.

إن العالم الذي وضعته العولمة على جرف هاوية، أشد ما يحتاج إليه اليوم هو التعقل والتروي والنظر ملياً بعين عارفة من أجل أن يعي كيف سينجو من السقوط أو كيف سوف يسقط إلى ذلك الدرك الذي قادته إليه العولمة؛ إذا ما كان الطفل قد يبقى اليوم جله أمام آلة العولمة باحثاً في عالمها عن وسيلة تغرقه في ذلك العالم، وتقصيه عن حاجاته اليومية، حتى انصاع إلى آلة أنسته أمه وأبيه.



obeikandi.com

إن العولمة محطة لتقنية عصر جُل خلقه لا يزالون يتحركون ببطىء شديد نحو التحضر وغير قادرين على حرق مراحل تحتاج إلى الكثير من العلم والمعرفة حتى يمكنهم من الوصول إلى تلك المحطة الغريبة عليهم.

والطائفية هي الشرك الذي يصطاد من يجهل رسالته الإنسانية إلى الحياة إذا ما كان وطن غاندي العالم كله، غاندي الذي لا يخفض معاييره لتلاءم الظروف، لنجد أن من الواجب رفع معاييرنا إلى مواقعنا الإنسانية الرفيعة العالية وليس السقوط في مستنقع الطائفية الذي يحتوي على مظالم الجهالة التي نخجل من ذكرها كبشر.

## الأخلاق

الأخلاق ، نتاج وعي لواجب الحياة ، إذا ما كان كل ارتقاء في الوعي إنما هو سمو في القيم، وفي الوصول إلى وعي الوجود، إنما هو تحقيق القيم التي هي واجب الحياة.

إذن، من الواجب أن نعلم إن توجه الفكر بنا خارجاً عن مواقع القيم، كان السبب في إقصائنا عن وعينا لواجب الحياة.

لنقل: إن الصدق قيمة من القيم الأساسية في هذا الواجب، لكن مصالح الفكر قد أقصتنا عن الصدق بذاته كواجب حياة، لنخرج من الصدق ومن الواجب في هذه القيمة، حيث أصبحنا مجتمعاً يكذب ويدجل على ذاته الجوهرية .

فالأخلاق قيمة جمالية من قيم الوعي، ولن تكون قيمة جمالية إن لم تكن محققة من قِبل الوعي الذي يرقى بجميع السمات والصفات والمثل نحو كمالها الإنساني.

هنا يزول الاختلاف القائم بين مجتمعات العالم حول هذه القيم جميعها، لأنهم جميعاً من جوهر واحد، وأن واجب الحياة في هذا الوجود هو وعي هذا الواجب



obeikandl.com

في لغة واحدة هي لغة الله الواحدة؛لغة الجوهرالواحد ، لغة العقل الواحد والذات الواحدة، لغة الوعي الواحد ، إذا ما كانت كلمة الله واحدة ، لإنسانية واحدة.

إن في الوعي نبع القيم الإنسانية جميعها ، نبع من الأعماق حيث تتجلى وتصبح هي الإنسان وهي الحياة وهي الغبطة والسعادة والفرح0

## حرية التعليم الحقيقية

يقول المعلم: " يطالب فريق من الأهلين ومن رجال الدين بحرية التعليم، ونحن من رأيهم في ذلك، فالتعليم جزء من المعرفة في معناها اليوناني الهندي الأصيل، والمعرفة تعني الحكمة أي سيطرة الروح الكاملة على عناصر الإنسان ونشاطاته والحكمة تعني الحرية فيما يتعدى نطاق الزمان والمكان، فيما يتعدى القدر.....

ويقول المعلم : جاء السيد المسيح فكان حلم البشرية الذهبي بالنسبة للذين اقتربوا منه وجالسوه، وانصتوا إلى أقواله البسيطة العميقة الثورية في آن واحد ، فسارت تعاليمه كالكهرباء في مجتمعه الصغير لا لأنه كان يبشر ويعظ بل لأنه كان يحيا حياة نورانية تجذب إليها الأشرار والأبرارعلى السواء،ويستمع واحدنا في حياته إلى ألف واعظ ومبشّر، فلا تغادر شفتانا ابتسامة صغيرة لأن معظم هؤلاء قد تلقنوا كالببغاء أمثولة هم أنفسهم لا يؤمنون بها.

ويقول: ونحن نعني بالحرية بادىء ذي بدء أن الدين اختيار ولا إكراه في الدين وإلا وقع رجال الدين في الخطيئة ذاتها التي يوصمون بها المذاهب الكلية والجماعية التي تسيطر اليوم في الأقطار الشيوعية، واقترفوا خطيئة جنكيز خان وهتلر وستالين. فالإيمان نعمة رفيعة تتجلى فوق مذابح النفس القدوس، فرجاؤنا أن لا يجعلوا من هذه النعمة كتاب تاريخ مدرسي بسيط، أو كتاب صرف ونحو يفرض على التلاميذ فرضاً 0

ويقول المعلم: ثم أن الحرية لا تعني الحرية المطلقة،لا تعني حرية الخير والشر على السواء،حرية السليم وغير السليم،حرية الوطنية والخيانة، فهنالك توجيه طبيعي

عفوي يفرضه علينا ضميرنا ومعتقدنا الروحي،و وجداننا الوطني أي بكلمة هذه الروح من الحرية الأصيلة فينا، فمن لا تكون الحرية في نفسه عبثاً يفتش عنها في جيوب الآخرين " . ص 236

إن الروح في ذاتها حرة أبداً، إذا ما كانت من الذات الإلهية التي هي وعي محض وحين نعي الروح نتحقق بالوعي المطلق، لتصبح الحكمة سبيلاً إلى الحرية إذا كانت تعتق القيود والأثقال التي حمّلها الفكر إلى هذا الجسد الإنساني الشريف.

ولا بد أن تكون جميع أصناف الحرية وأشكالها الموضوعة على مائدة الفكر، هي من أجل خدمة الفكر كمسَتِغل وليس من أجل السمو إلى مواقع الحرية.

جاء السيد المسيح في زمنٍ كهذا، حين كان الباطل يقتل الحق، وناموس الغاب هو شريعة الفكر. جاء لا يحمل شيئاً سوى الحب، ولا في ذاته شيئاً سوى العلم، فكان كلمة سلام، كان رسالة سلام. فسمعه كل من يريد أن يستريح من حروب الدهور التي أقامها ذلك الفكر حين كان قلم الكتبة من اليهود يسطّر بمداده الأسود، تاريخ اليهود الأسود.

"لا إكراه في الدين". نظرة مهيبة في سبيل الحرية لمن يرى أن الروح حرية، لمن يعي سبيل الحرية، ويرقى ويتحرر، إذا ما كان كل ارتقاء– تحرر – لنعلم أن الروح غاية جوهرية ، والجوهر هو الحرية المطلقة نعقله بالوعي – فالوعي سبيل الحرية، والخلاص من جميع أشكال السيطرة. إذن، لا لحرية الفكر؛ لا لحرية الاختلاف.

لا إكراه في سبيل الحرية - لا إكراه في سبيل السيادة – لا إكراه في سبيل الإرادة إذا ما كانت هي الخيار – خيار الوعي والحرية والسعادة.

هنا تتجلى الحكمة في الدين– فالدين حرية – والوعي حرية – والإرادة حرية – والسبيل هو العقل – وغايته الواحد – ونحن هنا – ونبقى هنا – ولا يتغير شيء – سوى– نحن " من فكر يستولي– إلى وعي– يعلم ويعرف ويعي - ويحرر– ويعقل.

فقد ضيّع الإكراه عِلم الحرية– ضيِّع الحرية ذاتها– حين سيق البشر إلى الحرب بوجه الحرية– حين سيق البشر من أجل اغتصاب حريتهم بأيديهم ، ودفعوا فوق كل

هـذا لـذة عيشـهم وسـعادتهم – ودمهـم . ..... وكـل هـذا بسـيف الفكـر – عبـد الاختلاف0

فالدين واحد ت تختاره بحرية – وتمارسه بحرية – من أجل غاية حرة هي في النهاية – أنت " حسب قول أفلاطون : " السيد الحر القائد لقانون الطبيعة "

بلى ، أن "الإيمان نعمة رفيعة". حسب قول المعلم ، وحسب السيد المسيح : " إذا كان بك ذرة من الإيمان وأن تقول لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون غير ذلك".

جميل قول المعلم:" فمن لا تكون الحرية في نفسه عبثاً يفتش عنها في جيوب الآخرين ". وهذا شاهد لنا " أن الروح في ذاتها حرية" وهي أغنى ما في الوجود.

هـو اللّه في كـل أيـن، ومـن كـل أيـن تـراه في بصـيرة ذاتـك، إذا مـا رفعـت حجاب الفكر عنها. وقد أشارت جميع الأديان إلى ذلك بالحكمة، والحكمة هي هي في جميع الأديان، ولم تختلف السبل، إذا كانت جميعها تغسل أوحال الفكر من أجل أن يتكشف الجوهر.

هـو اللّه فينـا جميعـاً – هـو الحـب المحض،والجمـال المحـض، والـوعي المحـض ... وحاجتنـا الحقيقيـة هي،معرفـة اللّه فينـا - بالكلمـة - بـالقلم - بـالوعي - بالحب الذي هـو فيض من قداسته المشرقة منـّا. إذن، لماذا نختلف، إذا مـا كنـا جميعنا هو، وهو الحب المحض؟

إن الذين يتخذون الطائفية نهجاً من أجل الوصول؛ لن يصلوا ،لأنهم يفترقون عن الوحـدة الكليـة للواحـد الأحـد ،وهي الكـل الجوهر،يفترقـون بـالفكر كوسـيلة افتراق، لأنهم ذهبوا وراء الاختلاف، وأن سبيل وصولهم إلى التوحيد هـو تجردهم عن كل فكرة وفكر.

يقـول المعلـم في افتتـاح أسبوع الكتـاب العربـي : " يبـدو بوضـوح أننـا أمـام عصـر جديد وحضارة جديدة أحد عناوينها البارزة:الكتاب مِلك الجماهير، مِلك عقولهم وفي متناول يدهم.. ..

والمعرفة ككل نشاط بشري سيف ذو حدين ، وخطر المعرفة الخاطئة أعظم من خطر الجهل لأنها تتلبس برداء المعرفة الجذاب ذاته". ص 240

نرى أن المعلم هو في ذاته موسوعة علم وأدب ومعرفة، وأن أهم روافدها هو الكتاب الذي حمل في طياته كل شيء من أجل أن يصبح الإنسان ملاكاً طاهراً ، غير أن هذا الإنسان العربي خاصة لم يلتفت إليه نظراً لكثرة همومه في مجالات الاختلاف التي تكبره حجماً وقدرة، كونه يجهل.

فالكتاب، إنما هو العِلم وهو المعلم، وهو الجامع لروافد المعرفة من أجل الوصول إلى وعي الحياة الحقيقية التي هي من أجل الإنسان المتطور والمتجدد والمبدع.

هو الذي يفتح لنا بوابة الماضي والحاضر من أجل أن نفتح على هديه بوابة الغد بعلم جديد ومعرفة جديدة، و وعي جديد. فنحن نبني ذلك الجديد على قواعد ثابتة من المعرفة القديمة المشرقة بالنور، من أجل أن نعمل بالنور عملاً عظيماً.

إن جوهر العلوم جميعها، قد حفظته إنسانيته في خزائن التاريخ، حفظته من أجل أن يكون مشكاة نور تهتدي به الإنسانية إلى سبل إنسانيتها العظيمة ، وليس من أجل أن يصدأ ذلك العلم وتصبح بيوته متاحف قديمة، إذا ما سُكب من أجله دماء زكية – وزهقت من أجله أرواحاً طاهرة.

## هدف العلم

يسأل المعلم قائلاً : " ما هو هدف العلم؟...، ثم يجيب بقوله : هو أن نكشف أي أن نعرف الأصل الذي منه تتفرع سائر الأغصان، والمصدر الذي تعود إليه ومنه تنبثق جميع الأسباب والعلل والمصادر، أي إيجاد عنصر واحد وتشكيلة أو جملة جبرية أو هندسية واحدة أو جوهر واحد لتفسير جميع ظواهر الكون ..

العلم يطلب وحدة التفسير، وحدة الجوهر، يسلك إلى ذلك معارج علوم المادة.. ولكن أي جوهر مادي هذا الذي يتبخر أمامنا ويصبح طاقة لطيفة، محض طاقة، كأنه عقلنا ذاته ومن جوهر فكرنا ؟؟



obeikandl.com

ويتابع المعلم حديثه قائلاً: وآلهة الأرض هؤلاء الذين أسميتهم، ولا إله الجوهر الفريد الرحمن - هم هؤلاء الذين استنبطوا في عقولهم ومن عقولهم هذه النظريات الكبرى للكون التي نسميها نظريات توحيدية تهدف إلى تفسير واحد لجميع مظاهر طاقات المادة والحياة.

ويقول : قد يكون أينشتاين قطبهم في هذا الجيل وفي كل جيل، لأنه وضع أسس التفتيش عن وحدة الوجود المادي على الأقل، من خلال العلم ذاته .. فالعلم هو إذن توحيدي في معنى التوحيد الأصيل كمن يقترب من كرسي العرش ولكنه لا يزال يتصور ولو إلى حين تعدد الآلهة... " ص 245

نحن في صلب موضعنا " ما بين العلة والغاية " من الوحدة الجوهرية وإليها، إنما نحن أمام معضلة كبرى وهي " أننا أوصدنا الباب عن عالم فيما وراء الطبيعة وأقمنا جميع نظرياتنا بناء على مصالحنا الذاتية التي ساقتنا قسراً إلى الاختلاف لأنها تفتقد إلى عالم فيما وراء الطبيعة الذي أوصدنا بابه الحقيقي.

فلو سألنا السادة علماء الفيزياء، السؤال التالي: مما تتألف الذرة؟

سوف يجيبون بصوت واحد قائلين: من بروتون يحمل شحنة موجبة،وإلكترون يحمل شحنة سالبة، ونيترون عديم الشحنة . فمن هذا ألف علماء الفيزياء الذرة .

لنسألهم بقولنا: أليس الذرة مادة؟

يجيبون بصوت واحد، بلى أنها مادة.

أليس المادة متحركة ؟

يجيبون بصوت واحد : بلى إن المادة متحركة.

من هو محرك المادة إذا ما كانت المادة تراب وتحتاج إلى محرك حكماً؟

قد يقولون : الشحنة الموجبة ، والشحنة السالبة.

إذا ما كانت جميعها مادة وتحتاج إلى محرك ثابت ودائم وأبدي. فمن هو المحرك؟

ونسألهم : لماذا النيترون إن لم يكن بلا فائدة؟

obeikandl.com

حتما سوف لا يجيبون لنقل: إن الوجود وجوب محض، لا سلب فيه – مشحونٌ بضمير – هو ضمير الوجود وسابقه – مبثوث بكل ثنياته – يحركه من صميمه. إذن هو صميمه.

وعلى ضوء هذه النظرة نرى "أن الوجود وجوب محض لا سلب فيه" والجوهر هو المحرك ، الجوهر الذي ينبسط ولا يتحرك، وبسطه إنما هو نتاج غبطة في ذاته يليها قبض جراء شوق لذات الواحد في ذاته حيث تتم عظمة الوجود من النيترون الذي يدفع إلى حركة البروتون والإلكترون في عملية " بسط وقبض" كالفؤاد أبداً " كالوجود أبداً في حركته السرمدية ، حركة التساوي المطلق.

إن المحرك في الصميم ، ومن الصميم يحرك من ثبات مطلق، يحرك حركة مطلقة . يحرك هذا الوجود حركة شوق وهيام، لأن الشوق في ذاته – لأنه شوق في ذاته - والشوق من الشوق المحض – من الجوهر المحض - من الله.

إن الجوهر المحض، ليس سكوناً حسب قول فلاسفة الفكر، إذا ما كان يقظة سرمدية، إذا ما كان الصميم ، المصدر الحقيقي، الحقيقة الكلية الجوهرية المطلقة المجردة، الثبات المطلق، ومن الثبات المطلق بدأت الحركة المطلقة بدقة ونظام وشمول .

فالشمس تشرق كل يوم، تشرق من ثبات مطلق، وتتحرك في كل يوم حركة ثابتة ومطلقة، وفي كل يوم تشرق بنور جديد ،وفي كل يوم تجدد وتتجدد بالنور، هي في مطلق الحركة، هي في مطلق التغير الذي فيه تصنع الفصول، هي في مطلق الثبات الذي منه نعرف سراً من أسرار الوجود ، هي رائدة من روّاد الحقيقة ورسول من رُسل هذا الوجود.

إن علماء الفيزياء قد ذهبوا بمنظارهم المادي إلى حيث شاءوا. هم أولياء الله إذا ما كشفوا عن سرٍّ من أسرار الطبيعة من أجل الإنسانية. يثبتون من خلاله أنهم رُسل الإنسانية حقاً وصدقاً.

لكنهم أوصدوا الأبواب جميعها عن عالم آخر هو العالم الحقيقي " عالم الجوهر" ولهم الحق في ذلك إذا ما كانت رسالتهم مادية خالصة.

كما أن الطبيب الذي راح يغزو عالم الجسد المادي بآلة مادية من أجل الكشف عن حالة مادية يحقق من خلالها غايته العلمية.

إنما الإنسان هو مادة متحركة من قِبل صورة مُحركة، وحين ألغى علماء الفيزياء الصورة المُحِركة – وتحركوا بالمادة المتحركة من غير أن يعلموا أن ثبات الحركة لا بد أن يكون من خلال ثبات الصورة إذا ما كانت الصورة هي الصميم لكل حركة كنقطة بيكار الدائرة التي تصدر الحركة منها ، فالصورة ، إنما هي روح الحركة ، لكن علماء الفيزياء قد أفقدوا الحركة روحها ومعناها ، حيث أصبح العالم جسداً بلا روح من جراء فريتهم على الروح الجوهر.

ولم يستطع السيد جورج طرابيشي من العثور على المكنون بعد استخدامه آلة الفكر العمياء التي حفر بواسطتها جسد الإنسانية حتى النهاية حيث لم يجد أي عمق لهذا الجسد من خلال آلة ذلك الفكر ، حسب ما وعدنا بكتابه " نظرية العقل ".

يقول المعلم : " ولعلنا نقترب إلى بضع سنوات أمامنا من اليوم الذي تنفتح فيه أسرار الحياة ذاتها ، ونكون فيه قد ولجنا أكثر في أعماق المادة ذاتها ، فتبرز نظرية موحدة شاملة للمادة والحياة في آن واحد.

ويقول المعلم: وهنا تبرز صحة آية الحكمة الكريمة " بالتوحيد تعرف الأشياء، لا بالأشياء يعرف التوحيد".. وتدركون مثلي أن الدين ذاته هو أيضاً توحيدي، على أنه يسلك طريق المعرفة، هو أيضاً إنما يلج إليها من خلال الروح والأخلاق أي التطهير الداخلي والتصرف الخارجي الصواب .. وتدركون مثلي أنه لم يعد في هذا العصر تمييز بين العلم وبين الدين على حقيقتهما، لأن نزعة النفس البشرية هي معرفة حقيقة الوحدة في العلم وفي التصرف البشري وفي الدين على السواء". ص 246

إن المعلم يرى الأشياء بعين الوعي إذا ما تكشفت أسرار لا تحصى تحقق نظرته لغدٍ كان زاخراً بالعجائب والغرائب التي ذهبت بها حركة الحياة إلى مشيئة الفكر.

إن النظرية الجديدة التي خرج بها الفكر حسب الموسوعة الفلسفية للدكتور فيصل عباس هي "أن المعرفة قوة وسلطة وسطوة "ص 8 من ج1.هنا يجب أن تعرف ما يراه الفكر بسيفه المسلول أبداً؛ رغماً عن واجب المعرفة .

بلى بالتوحيد تعرف الأشياء،فالتوحيد علم من أجل المعرفة الحقيقية للوجود – هو علم الوجود الحق – هو علم الحقيقة.

إن العلم الحقيقي، يكشف عن تلك الوحدة الجوهرية التي هي مشكاة نور في سبيل وحدة العلم– وحدة الدين– وحدة الإنسانية– وحدة الغاية في الوعي – في العقل – في الله الواحد الأحد.

هنا تتكشف الغاية التي يتصورها المعلم حيث يقول :" نريد أن نعرف المصدر الأخير للظواهر، نريد أن نكون واحداً مع الآخرين من خلال التضحية والتصرف الشريف، نريد أن نعرف من هو هذا الذي نسميه بمنطقنا المتعثر .. الله ؟.

ويقول المعلم: تواجهكم اليوم الحياة بانجذاباتها ولكن هناك انجذاب أقوى يدفعكم إلى الوحدة، إلى تحقيق الوحدة في نفوسكم وهو هدف التربية، إلى تحقيق الوحدة في أوضاعكم الخاصة وهو هدف العائلة، إلى ت حقيق الوحدة في أوطانكم وهو هدف القومية، إلى تحقيق الوحدة في نظرتكم للوجود الظاهر والباطن وهو هدف العلم والدين". ص 246

إن المعلم يرى أن الحياة عطاء دائم مستمر،حسب قانون الطبيعة وقوانين الوجود الحق، بينما تختلف رؤية العصر التي لا ترى سوى المصلحة المبنية على السلب، حسب ما رسمته فلسفة عصر النهضة الأوروبية.

فالأسرة التي هي نواة الوحدة في المجتمع العالمي المعاصر قد تفككت ، وتسيبت حدود الوطنية والقومية، وذهب وادي الجوع ليصب آلامه في شواطيء الارتزاق البشري وارتهان الأعناق، حتى أبناء قريتي جلهم كان من ذلك السيل الجارف إلى آمال الشعوب التي أصبحت من الأحلام.

هنا يرخص كل شيء؛ ليس في سبيل الوطن والحرية والكرامة ، بل في سبيل رغيف الخبز فقط؛ ذاك الرغيف الذي قد يصبح حلما في مهد هذا العصر الميمون.

إن الذي تصوره المعلم من أجل الإنسان قد زال حتى من الحلم ،لأن سيف الفكر كان أولّى في مخيلة الناس وفي نظرتهم إلى الحياة حين قال المعلم: "إنني على يقين أن جيلكم سيكون جيلاً سعيداً إذا عرف أن يختار بين تطلعه إلى الصاروخ وبين القاعدة أو السنة ألتي أوحت باختراع الصاروخ،بين علم الأشياء، كما تبرز عليه من تطبيقات عملية بسيطة بحد ذاتها وبين علم حقيقة هذه الأشياء كما تبدو في نهاية المطاف، وعلى سنان ارتقاء الفكر في معارج استكشاف لسنن الوجود ومصادره".

نرى أن سرعة حركة التطور قد فرضت ذاتها ووجودها وجميع أغراضها قبل أن يفهمها البشر، إذا ما قادت إلى حيث ما شاءت في نهب الكيان الإنساني بعد أن غسلته من روحه الجوهرية.

إذن ، أصبح العالم تابعاً لتقنية رهيبة وليس قائداً لها حتى يجعلها من أجله، حين كان هدف الفكر من خلال هذا التطور هو استهلاك الإنسان بوسائل أرقى وأجمل من تلك الوسائل القديمة حتى لا يلتفت هذا الإنسان إلى ذاته ولو بالحلم.

يقول المعلم : " والعلم في هذا المعنى علمان ..

علم الأوصاف والأشياء وعلم حقيقة الأشياء. وهذا هو العلم الحقيقي لأننا وجدنا ، خلقنا لنعرف حقيقة حقيقتنا.. والحب البشري ذاته،لا يأخذ معناه إلا على ضوء ذلك. فنحن لا نحب الآخرين بل نحب ما هم الآخرون على حقيقتهم .. ما من أحد يحب الشناعة والنقص والحماقة أو الذل والإسفاف،إنما نحب الروح ولا نحب الجسد الذي هو مادة عجماء، آلة جماد ، ميت بحد ذاته.

وهكذا يتبين لنا أن العلم علمان ..

علم الجهل، كما كان يسمي ذلك أحد كبار الراشدين ممن أصبحت الحقيقة ملكة ذاتهم ومصدر بقائهم في العيش الظاهر". ص 247

عالمان يستحقان الإهابة حقاً هما :

1 – عالم الطبيعة – عالم الظواهر الحسية الذي ندركه بالحس حيث هو عالم الفكر. 2 – عالم فيما وراء الطبيعة – العالم المكنون – عالم الإله – عالم الحقيقة



obeikandi.com

– الذي نعقله بالوعي ، إذا ما كان هو المحرك إرادياً من خلال إرادة عقلية، لذا سميّ بعالم العقل .

إن علم الظاهر هو علم الفكر في بحثه وتقصيه في ظواهر الطبيعة،هو العلم الذي يبحث في عالم المادة. وقد وصفنا علماء الفكر بأنهم رسل عصورهم رغم ملاحظاتنا القوية حول حقيقة رسائلهم حين رفضنا العديد من إبداعاتهم" كالجاذبية ، وتكوين الذرة مثلاً "

يجب أن تكون آلة البحث في عالم الطبيعة،عالم الحس هذا بآلة حسية هي الفكر.

لكن الغريب والعجيب والمؤسف،أن يتعدى الفكر على عالم لا يعرف عنه شيئاً ، ولا يقبل منه شيئاً، لا بل يرفضه جملة وتفصيلاً في تماديه بالبحث والتقصي وكأنه هو مبدعه .

إن آلة البحث في الظواهر الحسية هي الفكر بلا منازع كونه آلة مادية من ذات الطبيعة المادية المحسوسة

لكن الغريب والعجيب والمؤسف فعلاً، هو أن تتعدى فلسفة الفكر هذه على ما هو أغنى وأرقى وأشرف وأقدس من أن يعرفها فكر يفعل الموبقات ويقتل خلق الله.

إن معرفة حقائق العالم المكنون ، يجب أن تكون بنور من العالم المكنون. فنحن قد نعرف الجوهر بنور الجوهرإذا ما كنا نعرف المادة بنور المادة.نحن نعرف العقل بنور العقل بالحكمة بالوعي بالتجرد عن أغراض الفكر الدنيّة،بالسمو والارتقاء لأن جميع هذه السبل إنماهي الوسائل الفعلية إلى معرفة المكنون في التأمل العقلي فقط 0

فحين كنت أقف وراء فيثاغورس وانظر معه بغرابة وحزن وألم إلى فلاسفة الفكر وهم يرصدون عالم الإله بمنظارهم الفكري، ثم يخرجون بمقاييس وأشكال قد تناسب أفكارهم ومصالحهم؛ لكنهم بهذا يعتدون على الحقيقة بأفعالهم هذه.

فحين يقول أحد المفكرين: " نحن أهل دولة العقل العالمية هذه، نشعر بسلطان الأسطورة يغمرنا كلما وقفنا بين يديها دون أن ندري لذلك سبباً ". دين الإنسان – ص 58 - فراس السواح ... فقد تألم فيثاغورس وتألمت معه.

إن دولة الفكر قائمة هنا في عالم الطبيعة، إنما يبقى الكلام عن دولة العقل لمن يعقل أن الوعي قد يتعدى نظام الفكر هذا القائم على باطل؛ إلى نظام ينسجم مع نظام الوجود وقوانينه وسننه .

له الحق المعلم في أن يطلب علم المعرفة، معرفة الحقيقة الإنسانية، حقيقة هذا الإنسان من أجل نحب فيه روحه الجوهرية من خلال قيمه الإنسانية ومثله وسماته الرفيعة العالية إلى حيث مواقع الروح.

فإذا ما كان الجهل خسارة، وإذا ما نظرنا إلى مواقع الإنسانية الحقيقية؛ لا بد من القول : إن الإنسان في مواقع الجهل هذه؛ هو خسارة لم يعرف بعداً واحداً من أبعادها.

إن الجهل صانع الاختلاف، ذلك الاختلاف الذي حرم الإنسان من حياة البسط والحب والسلام والغبطة والفرح التي يحياها من خلال المعرفة والوعي. فالوعي إنما هو جمال الروح المتجلي أبداً على الكيان الإنساني الرفيع.

يقول المعلم: " فالمعرفة هي مرآة النفس ومسلكها العفوي ودربها الطبيعي لا الإيمان. ولو صح لي أن أقول واعظاً – لنصحت بأن لا تتمسكوا بالإيمان عندما تصلوا إلى حبل المعرفة .. هذه هي بداية التحرر". ص 247

بديع هذا الكلام إذا ما كانت المعرفة هي التي تكشف لنا الغطاء عن جوهر النفس ، هي التي ترفع حجاب الجهل – حجاب الفكر– حجاب المادة عن جوهر هو في ذاته غاية النشد من أجل أن يشرق ويتجلى – ويحرر – حيث تصبح الحركة إرادية من نقطة بيكار الدائرة ،وليس من موقع آخر بقوة الفكر،وهذا جوهر الإيمان.

يقول المعلم: ولا أطلب لكم السعادة لأنها الرفيقة الملازمة للحقيقة بل هي هي ذاتها .. بل أرجو لكم أن تتفق في نفوسكم رغبة التفتيش عن الحقيقة في كل

شيء، لأنها أساس العدل والمسلك إلى الصراط المستقيم، هذه الرغبة التي هي جذع جميع الرغبات وإنما تتيه في جهلها هنا وهنالك، هذا الشوق العظيم الذي يجعل الحياة فرحاً دائماً لأنها خلق دائم". 248

إن النظرة البعيدة دائماً تسأل ، إنما تسأل ذاتها ، ذاتها التي تتعدى الظواهر إلى الأبعاد الحرة من القيود ،فتذيب الظواهر لتنفذ إلى الأعماق– لترى صوامع الأقداس يرتل في سناها الحب – آيات الأزل،

فالسعادة الحقيقية في الأعماق، إنما هي الأعماق في غبطة ذاتها التي تنهل شهد وصال الحب – من خابية الأزل.

هي الحياة التي نراها بعين الحب – بعين الوعي – بعين الفرح - إنما هي حياة الفرح – تلك التي أتينا من أجلها – فذبُحت بسيفنا من أجلنا.

هي السعادة التي تتعدى الرغبات؛إذا ما كانت سيادة الإرادة الحرة نحياها بوحي الضمير، نحياها بحرية الضمير، نحياها بروعة الضمير.

لنبحث عن الكلمة التي تحتوي في ذاتها روح المعنى – روح الحياة – إذا ما كانت مبعث لحياة الروح – يتصور جمالها من جمال الروح، فالروح، إنما هي كلمة في ذاتها من نغم الروح حين يكون الجسد هو القيثارة، والوعي هو الوتر.

فلماذا لم نكن؟ بالحق – لأننا فكر - فيه شقاء إنسانيتنا إذا ما كان الوعي يحقق لنا حياة الفرح بكل معانيها.

يقول المعلم: " ومن هنا يبزغ أمل السلام الحقيقي في العالم ، لأننا نعلم إذ ذاك أن أولئك الأطفال الصغار – بعض قادة الشعوب – يلعبون بالدمى السحرية على شواطىء هذا العالم ،وهم لا يعلمون أن الإنسان هو خالق السحر ومبدعه". 248

في الوعي – يزول طاغوت الفكر - وتتجلى الإرادة الحرة – ومن صميمها تبزغ شمس الحياة الفرح – شمس الحرية والغبطة والسعادة والسلام – لتأخذ حركة الحياة صراط أمرها – في مسارها الأبدي.

في الوعي – تزول الحدود والقيود والخلاف والاختلاف – والتضاد والتناقض - والصراع والحرب – في الوعي يتجلى الحب – وفي الحب يتجلى السلام والأمان والإيمان– في الوعي تتجلى الحقيقة،ويفنى عالم الكذب والدجل والعبث هذا.

## الجزء السابع من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

من المقدمة حيث يتناول الكاتب موضوعاً هاماً في عصرنا هذا وهو "الصحافة" التي فرضت وجودها حسب قوله كـ "سلطة رابعة "إلى جانب السلطات : التشريعية والتنفيذية والقضائية ...

ثم يقول الكاتب: " وفي هذا الوقت الذي قال فيه طاغور أن " الصحافة هي الرئة التي تتنفس بها الشعوب نرى بأن " تولستوي " يقول بدوره أن " الصحافة هي بوق سلام،وصوت الأمة،وسيف الحق القاطع،وملاذ المظلوم، ولجام الظالم، تهزّ عروش القياصرة وتدكّ معالم المستبدين". أما الصحفي الشهير مصطفى أمين، الذي اكتوى بنار الصحافة وتحسّس برودتها ونسماتها في الوقت نفسه، أكد أن " الصحافة الحرة هي فوانيس النور في شوارع الحكم، والصحف المقيدة هي الطبول والزمور في مواكب الطغاة الظالمين". ص 5

إن في عالم قائم على المصالح والأغراض ؛ لا بد أن تُساق الصحافة بسيف المصالح والأغراض، ولن يكون الصحافي سوى بوقاً لتلك المصالح والأغراض.

فلا بد من مهدٍ حنون يربي الصحافة بكلمة صدقٍ لتعبرعن مكنون صادقٍ وهذا بعيد المنال في عالم يخضع إلى سيطرة عاتية، في عالم يرهب الحق والحقيقة إذا ما كان قد تعّلم في مدرسة علمته كيف يخاف من قول الحق؛ وكيف يرهب الحق والحقيقة.

في عالم يُقتل فيه الصحافي والصغير والكبير من غير ذنب، يُقتلون في كل مكان وفي كل زمان،وكأن الخطوط الحمر للاحترام قد سقطت جميعها.